التضليل الفكري

بَوَاعِثُه - مَظَاهِرُه - آثَارُه - مَوْقِفُ الإِسْلَامِ مِنه

دكتــور

خالـد محمـد حمـدي صميــدة

الأستــاذ المساعـد في قسم الدعـوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعـوة بالمنوفيـة- جامعــة الأزهـر.

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله تعالى في هذه الحياة، ماضية بأمر الله، دائمة ما دامت السماوات والأرض، ولكل من الحق والباطل أعوان وأنصار، هؤلاء يريدون هداية الأمة، وأولئك يسعون لإضلالها وتضليلها، والذي ينظر إلى أحوال العالم الإسلامي يرى أنه ابتُلي ببعض الأحزاب والجماعات والفرق والمذاهب المتعددة الأهداف والشعارات، التي تدعي الصلاح والإصلاح وهم في الحقيقة مخدوعون بتضليلات أعداء الإسلام، وقد يصل الحال ببعضهم أن يكونوا وكلاء عنهم في الإساءة للإسلام، وتضليل المسلمين، وترويج شعاراتهم وأفكارهم، عن علم أو جهل.

والواقع أن أعداء الإسلام حينما عجزوا عن تحقيق غاياتهم الرامية إلى هدم الإسلام في نفوس الأمة الإسلامية، لجأوا إلى استخدام (التضليل الفكري) منهجاً لبث المفاهيم الفاسدة في أذهان المسلمين.

* * *

In the name of of Allah the Merciful

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the prophet sent as mercy to the worlds, our master Muhammad, his family and companions and those who followed his guidance till the Day of Judgment,

The conflict between right and wrong is one of the ways of Allah in this life, will, as long as the heavens and the earth are in s'which will continue with Allah existence.

Both right and and wrong have servants and supporters, The former want to guide the nation while the former seek to mislead and misguide it.

An examination of the current situation of the Islamic world will show that it has been plagued with some parties, groups, sects and schools of Thoughts want multiple aims and slogans. they claim that they call for righteousness and reform while They are in fact deceived by the misrepresentations of the enemies of Islam. Some of them may work as their agents in the process of insulting Islam, misleading Muslims, and propagating their slogans and ideas while they are aware or unaware of that.

Indeed, when the enemies of Islam failed to achieve their goals of destroying Islam in the hearts of the Islamic nation, resorted to the use of (intellectual disinformation) as a method to disseminate corrupt concepts in the minds of Muslims

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل سنةٌ من سنن الله تعالى في هذه الحياة، ماضيةٌ بأمر الله، دائمةٌ ما دامت السماوات والأرض، ولكل من الحق والباطل أعوان وأنصار، هؤلاء يريدون هداية الأمة، وأولئك يسعون لإضلالها وتضليلها وهم الأكثرون، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾(١).

(١) سورة الأنعام الآية: ١١٦.

والصراع بين الحق والباطل يمضي مع مسيرة التاريخ لا ينقطع، وهذا الصراع يتجدَّد كل حين، لكن في جلد جديد، وأثواب مختلفة، وأسماء مبتدعة، ووسائل متطورة.

والذي ينظر إلى أحوال العالم الإسلامي يرى أنه ابتُلي ببعض الأحزاب، والجماعات، والفِرَق، والمذاهب، المتعددة الأهداف والشعارات، التي تدعي الصلاح والإصلاح، وهم في الحقيقة مخدوعون بتضليلات أعداء الإسلام، وقد يصل الحال ببعضهم أن يكونوا وكلاء عنهم في الإساءة إلى الإسلام، وتضليل المسلمين، وترويج شعاراتهم وأفكارهم عن علم أو جهل.

والواقع أن أعداء الإسلام حينما عجزوا عن تحقيق غاياتهم الرامية إلى هدم الإسلام في نفوس الأمة الإسلامية، وهدم وحدة هذه الأمة عن طريق الحروب المادية المسلحة بأدوات القوى القتالية، لجأوا إلى خطة أكثر مكرًا ودهاءً، وأقوى تأثيرًا، وأنفذ إلى أعماق النفوس والقلوب، وكان من هذا المكر والدهاء استخدام (التضليل الفكري) منهجًا لبث المفاهيم الفاسدة في أذهان المسلمين، وجهز هؤلاء جيشًا وكتائب من المبشرين،(٢) والمستشرقين،(٣) وكذلك من دعاة التغريب(٤) من المفكرين والإعلاميين، ومن يملك أداة التوجيه الفكري في العالم الإسلامي، الذين التقطهم أعداء الإسلام واحتضنوهم، ثم بعد ذلك ردوهم إلى أهليهم بعد أن فصموا شخصياتهم، فدخلوا بين المسلمين، في مختلف حياتهم الاجتماعية والفكرية، لبث ما يريدون بثه من أفكار مضللة لهم، بالوسوسة والإيحاءات الفكرية الضالة، التي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات، فتميل بهم عن المنهج القويم، وعن الصراط المستقيم، وهذا هدف أعداء الإسلام؛ أن يكون التضليل له أثره في السلوك، ولا شك أن حياة الناس أثرٌ من آثار

---

(٢) المبشرون: (هم الذين يجندون أنفسهم للقيام بمهمات التبشير سواء أكانوا من العاملين أو العاملات في السلك الكنسي، أو المتطوعين والمتطوعات من ذوي الاختصاصات الأخرى، وذلك عن طريق الدعوة إلى النصرانية صراحة، أو عن طريق التعليم المنهجي، أو التثقيف العام، أو الخدمات الصحية أو الاجتماعية أو غيرها، ودسّ الأفكار التبشيرية فيها). أجنحة المكر الثلاثة- أ / عبد الرحمن الميداني صـ ٥٠، طـ دار القلم، دمشق، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٣) المستشرقون: جمع مستشرق، وهي: (كلمة تطلق بالمعنى العام على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه، ووسطه، وأدناه، في لغاته، وآدابه، وحضارته، وديانته). الاستشراق والخلفية الفكرية- د / محمود حمدي زقزوق صـ ١٨، طـ دار المعارف.

(٤) التغريب هو: (الأخذ بأساليب الحضارة الغربية في كل شيء لينتقل المجتمع من المرحلة التقليدية إلى المرحلة التي وصلت إليها المجتمعات الغربية سواء في مجال التقنية أو الفكر والأدب، واتباع كامل بلا إرادة وبلا نقد أو تمييز لما يفرضه علينا الغرب من فكر وتقنية وأساليب سلوك). الموسوعة العربية العالمية- مجموعة من العلماء والباحثين جـ ٧ صـ ٤٦ طـ الثانية- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع- الرياض السعودية١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

المفاهيم التي تسيطر على عقولهم وقلوبهم، وكانت النتيجة أن انساق بعض أبناء المسلمين وراء دعوات المضلِّلين من الأعداء الظاهرين، ومن أتباعهم الذين ساروا في فلكهم، وهم مهما تَستَّروا فإنهم مفضوحون.

وبالتتبع للتضليلات الفكرية وجدت أنها تضليلات يبثها أعداء الإسلام بكل أصنافهم، والغرض منها هدم العقائد والتشريعات الربانية، واقتلاعها من عقول ونفوس فريق من أبناء المسلمين، ويصبح هذا الفريق معاديًا للإسلام والمسلمين، وينوب عن أعدائه في تحويل الأجيال الناشئة عن دينها، وقد يكون الغرض من تضليلاتهم إيجاد فريق آخر من أبناء المسلمين أيضًا، يتحلَّون باسم الإسلام، ويتعصبون له تعصبًا شديدًا، ولكن المفاهيم التي يستمسكون بها مفاهيم فاسدة مغلوطة، مع أنهم يعتقدون أنها جزء من الإسلام، وليست من الإسلام في شيء، ولا يشهد لصحتها نقل ولا عقل، بل قد تشهد المصادر بعكسها، وهؤلاء يمثلون فريق الصدّ والتنفير من الإسلام، وبذلك يخدمون أعداء الإسلام.

وبهذين الفريقين السابقين يكون التضليل الفكري للمسلمين، فريق يكون تضليلُه بتعاليم استقاها من خارج حدود بلاد الإسلام، وفريق آخر تضليلُه بتعاليم من داخل الحدود الإسلامية في الظاهر، ولكنها تقوم بمهمة الصد عن الإسلام والتنفير منه، ومصدر التضليل إما أن يكون من التيارات والفرق المنسوبة إلى الإسلام، أو من أعداء الإسلام.

من هنا تأتي أهمية هذا الموضوع الذي جاء بعنوان:

(التضليل الفكري: بواعثه – مظاهره – آثاره – موقف الإسلام منه)

وهو من أخطر ما يواجه العالم الإسلامي في حاضره ومستقبله، خاصة أن آثاره قد تغلغلت في القلوب والعقول، وملأت على بعض المسلمين كل مناحي حياتهم، وتركتهم على وضع بئيس غير مسبوق في تاريخهم، وهذا يستدعي أن تخوض غماره أقلام الباحثين، في محاولة لاستبيان أمره، واستجلاء حقيقته، ودرء أخطاره، ولعل بحثي هذا يكون – بتوفيق من الله – خطوة على هذا الطريق.

الدراسات السابقة

بعد البحث والتنقيب عن دراسات سابقة لموضوع (التضليل الفكري) لم أجد دراسةً أكاديميةً تناولت هذا الموضوع، وإنما وقفت على بعض الكتب ذات الصلة بهذا الموضوع غير أنها تعرضت له بصفة عامة، كما وقفت على كلام موجز ومختصر ومتناثر عن موضوع البحث في بعض الدراسات التي تناولت موضوع الغزو الفكري(٥).

ومن هذه الكتب التي تناولت موضوع التضليل الفكري بشكل عام ما يلي:

١ – كتاب بعنوان: (أعداء الإسلام ووسائل التضليل) للدكتور / جابر قميحة، تناول فيه أصول وجذور أعداء الإسلام وملامحهم النفسية والعقدية، ثم تناول السائرين على طريقهم في العصر الحديث، ثم عَرض لوسائل التضليل ووسائل الوقاية والعلاج بصورة عامة، ولم يتعرض لبواعث التضليل الفكري ومظاهره وآثاره على وجه التحديد، وهذا ما تفردت به في هذا البحث.

٢ – كتاب بعنوان: (كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة)، للأستاذ/ عبد الرّحمن حسن حَبَنّكة الميداني، وهي دراسة علميّة نقدية تحليلية بمنظور إسْلامي لزيوف كُبريات الآراء والمذاهب الفكرية المعاصرة وأئمتها، وجاء فيها ضمنًا بعض مظاهر التضليل الفكري، وقد أفدت من هذه الدراسة.

وفي حدود علم الباحث أن الموضوع لم يسبق أن تناوله الباحثون بالشكل الذي جاء به في هذا البحث.

منهج البحث.

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي: (الذي يهدف إلى وصف ظواهر أو أحداث معينة، بجمع الحقائق والمعلومات عنها، ثم وصف الظروف الخاصة بها، وتقرير حالتها كما توجد عليه في الواقع، وكثيرًا ما يتعدى البحث الوصفي حد الوصف أو التشخيص، وإنما يهتم

---

(٥) الغزو الفكري: (عنوان أطلق في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري- الموافق للثلث الثالث من القرن العشرين الميلادي- على المخططات، والأعمال الفكرية، والتثقيفية، والتدريبية، والتربوية، والتوجيهية، وسائر وسائل التأثير النفسي والخلقي، والتوجيه السلوكي الفردي والاجتماعي التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام والمسلمين، بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلًا كليًّا أو جزئيًّا، وتجزئتهم، وتمزيق وحدتهم، وتقطيع روابطهم الاجتماعية، وإضعاف قوتهم؛ لاستعمارهم فكريًا ونفسيًا، ثم استعمارهم سياسيًا، وعسكريًا، واقتصاديًا استعمارًا مباشرًا، أو غير مباشر). أجنحة المكر الثلاثة- أ/ عبد الرحمن الميداني صـ ٢٥.

بدراسة الوقائع والأحداث، ويحللها، ويفسرها، ويحدد الظروف والعلاقات التي توجد بين تلك الوقائع)(٦).

وذلك ببيان بداية ظهور التضليل الفكري, وصولًا إلى وقتنا الحاضر, مع ذكر بعض بواعث، ومظاهر، وآثار التضليل الفكري الصادر عن التيارات الفكرية المنحرفة، وأثره على الأمة الإسلامية.

كما اعتمدت على المنهج التحليلي الاستنباطي (الذي يقوم بتحليل المحتوى والتوصل من خلاله إلى النتائج المتصلة بموضوع البحث من قريب أو بعيد)(٧).

(٦) منهجية البحث في العلوم الإنسانية والتطبيقية- د / عبود عبد الله العسكري صـ ١٤، طـ دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

(٧) البحث العلمي: مفهومه، أدواته، أساليبه- د / ذوقان عبيدات وآخرون صـ ٦، طـ دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن.

خطة البحث.

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وأربعةِ مباحثٍ، وخاتمةٍ.

أما المقدمة: ففيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخطة البحث.

التمهيد وجاء بعنوان: مفهوم التضليل الفكري، وخطورته، وجذوره التاريخية. وفيه النقاط التالية:

أولًا: مفهوم التضليل.

ثانيًا: مفهوم الفكر.

ثالثًا: مفهوم التضليل الفكري.

رابعًا: خطورة التضليل الفكري.

خامسًا: الجذور التاريخية للتضليل الفكري.

المبحث الأول: بواعث التضليل الفكري، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الكراهية والعداوة للإسلام.

المطلب الثاني: الحسد للإسلام والمسلمين.

المطلب الثالث: الضعف الفكري، والتخلف الحضاري للمسلمين.

المطلب الرابع: الفراغ العقدي.

المبحث الثاني: مظاهر التضليل الفكري، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: القصف الإعلامي.

المطلب الثاني: التلبيس وكتمان الحق.

المطلب الثالث: تزيين الأفكار الباطلة، وتشويه الأفكار المخالفة.

المطلب الرابع: المغالطات.

المطلب الخامس: تشويه المفاهيم.

المبحث الثالث: آثار التضليل الفكري، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: إضعاف العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين.

المطلب الثاني: إفساد المرأة المسلمة.

المطلب الثالث: الانبهار بالثقافة الغربية.

المطلب الرابع: الغلو والتطرف الديني.

الطلب الخامس: انتشار الفساد والانحلال الخلقي.

المبحث الرابع: موقف الإسلام من التضليل الفكري، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ذَمُّ القرآن الكريم لأرباب التضليل الفكري.

المطلب الثاني: سُبل مقاومة التضليل الفكري.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د / خالد محمد حمدي صميدة

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية- جامعة الأزهر.

التمهيد

(مفهوم التضليل الفكري وخطورته وجذوره التاريخية)

أولًا: مفهوم التضليل.

التضليل في اللغة: (الضَّادُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ ضَيَاعُ الشَّيْءِ وَذَهَابُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، يُقَالُ: ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضَلُّ، لُغَتَانِ، وَكُلُّ جَائِرٍ عَنِ الْقَصْدِ ضَالٌّ، وَالضَّلَالُ وَالضَّلَالَةُ بِمَعْنًى، وَرَجُلٌ ضِلِّيلٌ وَمُضَلَّلٌ إِذَا كَانَ صَاحِبَ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ)(٨).

وجاء في (الصحاح): (أرض مَضَلّةٌ بالفتح يُضَلُّ فيها الطريق، وأضللت الميت: إذا دفنته في الأرض، وأَضَلُّهُ، أي أَضاعَهُ وأهلكه، وأضللت بعيري إذا ذهب ولم يُعرف موضعه، قال تعالى:﴿ أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ ﴾(٩) أي خفينا وغبنا...)(١٠).

ولعل الأقرب إلى المعنى المقصود في هذا البحث ما جاء في (لسان العرب): (وضَلَّ الشيءُ يَضِلُّ ضَلالًا: ضَاعَ، وتَضْلِيل الرجل: أَن تَنْسُبَه إِلى الضَّلال، والتضلِيلُ: تَصْيِيرُ الإِنسان إِلى الضَّلال)(١١).

يُفهم من هذا أن التضليل من ضلّل، أي تعمّد إخفاء بعض الأمور لئلا يهتدي الناس إلى الحقيقة.

والمقصود به: تغييبُ الحقائق وقلبُها، وما إلى ذلك من ألوان الخداع، والغشُ، والتمويهُ، والخلطُ، ودفعُ الغير إلى الاعتقاد في صواب أمر هو غير صائب، وذلك بواسطة تحريف الوقائع، وتزييفُ الحقائق، لإيهام هذا الغير بأن الحقيقة المزيفة المقدمة له هي الحقيقة بعينها.

وبمعنى آخر، التضليل هو الدفع إلى طريق الخطأ لتبني مواقف، أو اعتناق أفكار، أو إصدار أحكام بناء على حيثيات مغلوطة، واستنادًا إلى معطيات غير صحيحة، لكنها تُقَدَّم على أنها الحقيقة.

ثانيًا: مفهوم الفكر.

الفِكْر في اللغة:(تَرَدُّد القلب في الشيء، يُقَالُ: تَفَكَّر: إذا رَدَّدَ قَلْبَهُ مُعْتَبِرًا)(١٢).

---

(٨) مقاييس اللغة- أبو الحسين أحمد بن فارس- جـ ٣ صـ ٣٥٦ تحقيق: عبد السلام هارون- دار الفكر ١٩٧٩م.

(٩) سورة السجدة من الآية ١٠.

(١٠) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري جـ ٥ صـ ١٧٤٩ طـ الرابعة- دار العلم للملايين- بيروت ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.

(١١) جمال الدين ابن منظور جـ ١١ صـ ٣٩٣ طـ الثالثة- دار صادر- بيروت ١٤١٤ هـ.

(١٢) مقاييس اللغة- أبو الحسين أحمد بن فارس جـ ٤ صـ ٤٤٦.

والفِكْرُ: (إعمالُ العقلِ في المعلومِ؛ للوصول إلى معرفة المجهول)(١٣).

ويُقال: (الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب، يكون علمًا أو ظنًا)(١٤).

فالفكر بذلك هو تردد الشيء المعلوم في القلب، وإعمال العقل فيه باعتبارٍ وتأملٍ، وترتيبه بطريقة تؤدي إلى معرفة الشيء المجهول.

أمَّا تعريف الفِكْر اصطلاحًا: (فهو- بوجهٍ عام- جملةٌ من النشاط الذِّهني، من: تفكيرٍ، وإرادةٍ، ووجدانٍ، وعاطفةٍ، وبوجهٍ خاص: ما يتمُّ به التفكيرُ من أفعالٍ ذهنية، تبلغُ أَسْمَى صورها في التحليل والتركيب والتَّنسيق)(١٥).

وجملة القول: (أن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية وهي النظر والتأمل, وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس)(١٦).

مما سبق يتضح أن الفكر هو: الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر، والتأمل، والتدبر، والاستنباط، ونحو ذلك, وهو كذلك المعقولات نفسها، أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري.

فالفكر هو: إعمال النظر والتأمل في مجموعة من المعارف، لغرض الوصول إلى معرفة جديدة، فهو عمل العقل ونتاجه.

ثالثًا: عناية الإسلام بالفكر.

أولى الإسلام عناية فائقة بالفكر، والمحافظة عليه من كل شيء يؤدي به إلى الانحراف والزيغ والتضليل، واهتم اهتمامًا بالغًا بآلة الفكر وهي العقل, ودعا إلى التفكر الذي يقود إلى ما ينفع الإنسان من معرفة الله وخشيته والانقياد له سبحانه وتعالى.

وفي القرآن الكريم آياتٌ كثيرة تحث على التفكر وإعمال العقل، وأنه يقود إلى الإيمان، وتوحيد الله تعالى، وخشيته, وأنه سبب زيادة الإيمان، يقول الإمام أبو حامد الغزالي(١٧)-

---

(١٣) المعجم الوسيط- إبراهيم مصطفى وآخرون جـ٢ صـ ٦٩٨ طـ دار الدعوة للنشر.

(١٤) المصباح المنير- الفيومي جـ٢ صـ ٤٧٩ طـ دار الفكر.

(١٥) المعجم الفلسفي- جميل صليبا جـ ٢ صـ ١٥٧ طـ دار الكتاب اللبناني- بيروت- ١٩٨٢م.

(١٦) المرجع السابق جـ ٢ صـ ١٥٦.

(٤) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي: الملقب حجة الإسلام، زين الدين الطوسي، الفقيه، الشافعي، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله، اشتغل في مبدأ أمره بطوس، ثم قدم نيسابور، واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وجدَّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان

رحمه الله-: (وكَثُر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر، والاعتبار، والنظر، والافتكار, ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم, وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورُتَبه)(١٨).

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١٩).

وقال تعالى: ﴿ فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢٠).

وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢١).

وغير ذلك من الآيات التي تؤكد هذا المعنى، مما يبيّن بجلاء أهمية الفكر، والتفكر، وإعمال العقل الذي يكون سببَ التجرد للحقيقة، ونبذَ التقليد الأعمى, والبعدَ عن التعصب للآراء، وما عليه الآباء إذا كانوا على ضلال.

من هذا يتبين الارتباط الوثيق بين الفكر الصحيح والإيمان, فإن الفكر الصحيح المبني على الاستدلال، والنظر، والتأمل، والتفكر بتجرد، يقود حتمًا إلى الإيمان بالله، وتوحيده، وخشيته.

رابعًا: مفهوم التضليل الفكري.

مما سبق في بيان معنى التضليل والفكر يُفهم أن مصطلح التضليل الفكري هو: (إظهار الفكر على غير حقيقته ضمن منهج وعمليات مدروسة ومخطط لها، وغاياته أن يتقبل الناس الأفكار والقضايا التي كانوا ينكرونها أو يرفضونها في الماضي، أو التخلي عن المبادئ التي يؤمنون بها، والتوقف عن الدعوة لها)(٢٢).

فالتضليل الفكري هو: تقويض البناء الإيماني للفرد، مما يجعله خاويًا من القيم والثوابت

المشار إليهم في زمن أستاذه، قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة، وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة، وقيل سنة إحدى وخمسين، وتوفي سنة خمس وخمسمائة). وفيات الأعيان- ابن خلكان جـ ٤ صـ ٢١٦.

(١٨) إحياء علوم الدين- أبو حامد الغزالي جـ ٤ صـ ٤٢٣ طـ دار المعرفة- بيروت.

(١٩) سورة آل عمران الآيتان:١٩٠، ١٩١.

(٢٠) سورة الأعراف الآية: ١٧٦.

(٢١) سورة الحشر الآية: ٢١.

(٢٢) حركة الفكر بين التلقائية والتوجيه القسري- سالم القمودي صـ ١٠١ طـ الأولى ٢٠٠٦م- مؤسسة الانتشار العربي.

الداخلية، الأمر الذي يجعله فريسة سهلة لكل فكرة أو عمل دخيل.

وإذا كان التضليل الفكري ينشأ عن الاحتكاك بالآراء والأفكار المنحرفة فإن هذا أمر لا مناص منه، إذ لا يمكن عزل المجتمع عن الاحتكاك والتفاعل مع الثقافات المختلفة على نحو تلقائي؛ لأن هذه الحركة طبيعية، وسنة كونية أرادها الله- عز وجل – حيث جعل التنوع في البشر.

والتضليل الفكري يكون إما بالعمل على زرع فكر مضاد وغرسه في عقول وفكر الناشئة، مما يسهل انقيادهم بعد ذلك لأي عمل مخالف للقيم الإسلامية والمجتمعية، أو من خلال حجب المعلومة الصحيحة، أو خلط الغث بالسمين، أو نبذ النماذج الصالحة.

خامسًا: خطورة التضليل الفكري.

عند التأمل في بعض معاني (التضليل) بشكل عام – من حيث هو: تغييبُ الحقيقة وطمسها، وإظهار أمور مزيّفةٍ كاذبة على أنها الحقيقة، يجعلنا نقف على خطورة ما يتسبب فيه هواة ودعاة التضليل.

فمن خطورة التضليل الفكري أنه يعمل على تهديد الاستقرار الاجتماعي، والتشكيك في قيم الدين الصحيحة لدى المجتمع المسلم ككل.

فالخطر الحقيقي الذي تواجهه الأمة ليس كامنًا ـ فقط ـ في أن يكون لها أعداء، بل يكمن في أن يكون لها أصدقاء وقادة سُذّج، أو متواطئون مع الأعداء ضدِّ أمتهم.

إن الحرب المادية- بشتى أصنافها- ضد حَمَلَةِ الدعوة تُعَدّ أقل خطرًا من التضليل الفكري إذا قورنت به، وذلك أن أساليب الحرب المادية ضد حملة الدعوة، وثبات حملة الدعوة تزيد الأمة قناعة بهم وبأفكارهم، ويزداد تعاطفها تجاههم، وخاصة أن فكرتهم هي من صُلب عقيدتها.

أما خطر التضليل الفكري- إذا لم تنتبه له الأمة- فإنه يحدث شرخًا بين الأمة ودينها، وبين الأمة ومن يتبنون مصالحها من حملة الدعوة.

إن التضليل الفكري منهج يعتمد على التزييف، وقلب المعطيات والحقائق والاستنتاجات، فيشوّش على العقول، ويعمق مستويات الجهل، ويزحف بالأمية الفكرية والمعرفية على حساب النضج والوعي الايجابي العملي، فينتج عن التضليل الضلالات والانحرافات.

إنه يطمس الحقائق، ويسيء إلى الفهم السليم والمتعقل، وهو عكس الحقيقة تمامًا، وقد لجأت إليه الدول المُسْتَعْمِرة لإخفاء أهدافها الحقيقية، فهي تتوارى خلف مفاهيم ومصطلحات

برَّاقة، في ظاهرها الرحمة، وفي باطنها من قِبلها العذاب.

والتضليل الفكري يهدف إلى بسط الهيمنة على الآخرين؛ لتحقيق مصالحه وأهدافه، وأن يتنكر الناس لهويتهم، وخصوصيتهم التاريخية، وقيمهم.

وعند النظر – بتأمل- لبعض الحركات التي تنسب نفسها للإسلام، وتباين توجهات ومواقف نظرائهم في مختلف البقاع، والتي أفرزت الصراعات والتطاحنات الدموية والإقصائية، واجتثاث للمخالفين لهم من تكفير وتسفيه بعضهم بعضا، يتبين أن هذا ساهم بشكل كبير في تضليل العديد عن الطريق السوي المؤدي للسماحة والوسطية والاعتدال والتعاون، وفي الأحداث التي تشهدها عدة مناطق بالعالم الإسلامي مثال جلي يوضح ما نحن فيه، ويجسِّد الصورة التي نقدم بها أنفسنا للجميع في بلادنا وسائر بلاد العالم.

سادسًا: الجذور التاريخية للتضليل الفكري.

التضليل الفكري أسلوب اتخذه أعداء الإسلام قديمًا، وليس وليد العصر الحديث، وقد واجهه النبي ﷺ كما واجه الحرب المادية، ومن المواقف التي تدلِّل على قِدم التضليل الفكري ما فعله أعداء الإسلام في عصر النبي ﷺ عندما حولت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، فما أن أمر الله تعالى نبيهﷺ والجماعة المؤمنة بالتوجه في صلاتهم شطر المسجد الحرام حتى انطلق أعداء الإسلام يشككون في أمر رسول الله ﷺ، وفي صدق دعوته، وانطلقوا يسخرون ويستهزئون من صنيع المسلمين، وأخذوا يضللون المسلمين فكريًا، يقصدون بهذا صرفهم عن الإسلام، وتنفيرهم من اتباع الرسول ﷺ، وهؤلاء المضللون سماهم الله تعالى سفهاء، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلَّاهمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتي كَانُوا عَلَيْهَا﴾(٢٣).

قال الإمام القرطبي(٢٤)- رحمه الله-: (السفيه هو: خفيف العقل، والسفيه البهّات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم)(٢٥).

(ولقد تنازع السلف في المقصود بالسفهاء: فقيل هم اليهود، وقيل هم مشركو مكة، وقيل

---

(٢٣) سورة البقرة من الآية ١٤٢.

(٢٤) محمّد بن أَحْمد بن أبي بكر بن فَرح: أَبُو عبد الله الْأنْصَارِيّ، الخزرجي، الْقُرْطُبِيّ، إمَام متفنن متبحر فِي الْعلم، لَهُ تصانيف مفيدة تدل على كَثْرَة اطلاعه ووفور فَضله، توفّي أوائل سنة إحدى وَسبعين وستمائة بمنية بني خصيب من الصَّعِيد الْأَدْنَى بِمصْر، وَقد سَارَتْ بتفسيره الركْبَان). الوافي بالوفيات- الصفدي، جـ ٢ صـ ٨٧.

(٢٥) الجامع لأحكام القرآن- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي جـ ٢ صـ ١٤٨ طـ دار عالم الكتب- الرياض ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣ م.

هم المنافقون)(٢٦).

أما اليهود: فأثاروا حملة شعواء وضارية، واتخذوا من اتجاه المسلمين إلى بيت المقدس في الأيام الأولى من هجرتهم إلى يثرب- المدينة المنورة- ذريعة يستكبرون بها على الدين الإسلامي الوليد، ويرفضون الدخول في هذا الدين، بدعوى أن اتجاه المسلمين في صلاتهم إلى قبلتهم ببيت المقدس دليلٌ على أن دينهم هو الدين، وأنهم الأصل، ومن ثم فلا يجوز دعوتهم إلى ترك دينهم والدخول في الإسلام، وأخذت حملة اليهود المسعورة على المسلمين طابعًا خطيرًا، قوامه بذر بذور الشك حول هذه الخطوة في حياة الإسلام والمسلمين، وقد استعرض ابن هشام(٢٧) – رحمه الله- هذه الحملة قائلًا: (ولما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة على رأس سبعة عشر شهرًا من مقدم رسول الله ﷺ المدينة؛ أتى رسول الله ﷺ رفاعة بن قيس، وقردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي رافع، والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وكنانة ابن الربيع بن أبي الحقيق؛ فقالوا: يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها؛ نتبعك ونصدقك! وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه)(٢٨).

ولما شاءت إرادة الله تعالى أن يتحول المسلمون إلى المسجد الحرام، ازدادوا غيظًا، وحمقًا، وحقدًا، وسفاهة، وسخرية، فكان من ضلالهم وتضليلهم إطلاقهم مجموعة من الشبهات والافتراءات ومنها:

- (لقد خالف محمد ﷺ قبلة الأنبياء من قبله، ولو كان نبيًا حقًا لاتبع قِبلة الأنبياء من قَبله!!)(٢٩).

---

(٢٦) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير جـ ١صـ ٤٥٢ طـ الثانية دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٢٧) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري؛ قال أبو القاسم السهيلي عنه في كتاب (الروض الأنف) شرح سيرة رسول الله ﷺ: إنه مشهور بحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر وأصله من البصرة، وله كتاب في أنساب حمير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب فيما ذكر لي، وتوفي بمصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين، قلت: وهذا ابن هشام هو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من (المغازي والسير) وهي الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام " وفيات الأعيان- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان جـ ٣ صـ ١٧٧ دار صادر- بيروت.

(٢٨) السيرة النبوية- ابن هشام جـ ٣ صـ ٨٧ طـ دار الجيل- بيروت ١٤١١هـ.

(٢٩) بدائع الفوائد- ابن القيم جـ ٤ صـ ٩٦٥ طـ الأولى- مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

- (قد التبس عليه أمره، وتحير)(٣٠).

- مالك تركت قبلة بيت المقدس، إن كانت ضلالة فقد دنت بها الله، وإن كانت هدى فقد نُقِلْت عنها)(٣١).

وأما المشركون: فلم يَسْلَم الرسول ﷺ ومن آمن معه من كيدهم واستهزائهم حتى بعد ما تركوا لهم البلاد، والأموال، وهاجروا بدينهم، وكانوا يغتنمون كل فرصة للنيل من الإسلام ورسوله ﷺ وذلك بشتى الوسائل والطرق، فما أن علموا بنبأ تحويل القبلة حتى رددوا شبهات اليهود، وزادوا على هذا قولهم:

- (يا محمد رغبت عن ملة آبائك، ثم رجعت إليها آنفاَ، والله لترجعن إلى دينهم)(٣٢).

- (لقد اشتاق محمد ﷺ إلى مولده، وعن قريب يرجع إلى دينكم)(٣٣).

-(قد رجع إلى قبلتكم يوشك أن يرجع إلى دينكم)(٣٤).

وأما المنافقون:- وهم أخبث وأخطر الجماعات التي تندس داخل الصف الإسلامي- حيث روجوا لإفك اليهود، ورددوا سفاهتهم.

ولقد أفاض القرآن في الرد على تضليل هؤلاء السفهاء بما يثلج صدور المؤمنين، ويزيل ما في نفوسهم من شكوك، ويجلي لهم الأمر حتى يتبين لهم ما يلقيه عليه السفهاء من ألوان التضليل الفكري، فأخبر الله تعالى بمقالة السفهاء قبل أن يقولوها، وبين أنهم لن يمروا على الحدث مرور الكرام، بل سيمرون عليه مرور اللئام.

وتولّت الآيات الكريمة رد تلك المزاعم، ودحض ما امتلأت به من افتراءات وتضليلات وخطط مسمومة للدس والتشكيك، إذ لم يكن تحويل القبلة إلا سبيلًا لمعرفة من يتبع تعاليم الرسول الكريم ﷺ عن طواعية وإيمان، ومن ينقلب على عقبيه، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ

---

(٣٠) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي جـ ١ صـ ١٤٨.

(٣١) زاد المسير في علم التفسير- ابن الجوزي جـ ١ صـ ١٥٩ طـ الثالثة المكتب الإسلامي- بيروت ١٤٠٤هـ.

(٣٢) أحكام القرآن- الجصاص جـ ١ صـ ١٠٦ طـ دار إحياء التراث العربي- بيروت١٤٠٥ هـ

(٣٣) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي جـ ١ صـ ١٤٨.

(٣٤) بدائع الفوائد- ابن القيم جـ ٤ صـ ٩٦٥.

﴿(٣٥).

وفي العصر الحديث تولّى كِبَر التضليل الفكري إمام أو أكثر من أئمة الضلال في الأرض، ومعظم هؤلاء المُضلِّلين من اليهود، وليس هذا أمرًا عشوائيًا، بل أمر مرسوم ابتداء، ومخطط له من جماعات منظمة، وقيادات يهودية تُخْفِي نفسها، ولها هدفٌ مقصود؛ لإفساد الأمم وإضلالها؛ بغية تدميرها، والسيطرة عليها، وعلى كل ما تملك.

فالصراع بين الحق والباطل يمضي مع مسيرة التاريخ لا ينقطع، لكنه يتجدد كل حين في جلد جديد، وأثواب مختلفة، وأسماء مبتدعة، ووسائل متطورة.

(٣٥) سورة البقرة الآيتان: ١٤٢، ١٤٣.

المبحث الأول

(بواعث التضليل الفكري)

المطلب الأول: الكراهية والعداوة للإسلام.

بدأ العداء للدين الإسلامي منذ بداية ظهوره، وكانت مبادرة العداوة له من قِبَل اليهود الذين شحذوا أسلحتهم المسمومة لحرب الإسلام من أول يوم، بينما تأخر الصدام المسلح مع الوثنيين من مشركي مكة فلم يبدأ إلا في السنة الثانية للهجرة، وكذلك تأخر ظهور المنافقين إلى أن استقرَّ المسلمون في المدينة، ومما يُبيّن هذا العداء ما جاء عن صفية بنت حيي بن أخطب(٣٦) أنها قالت: (كنت أحبُّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين(٣٧) قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالَّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليَّ واحد منهما مع ما بهما من الغمّ، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت)(٣٨).

فعدو الله حيي بن أخطب قد أعماه فكره المنبعث من حسده عن الاستجابة لنداء الحق، والإيمان برسالة محمد ﷺ رغم قناعته التامة بأنه نبي آخر الزمان.

فالإسلام منذ بزغ نجمه، وأعداؤه يحاولون القضاء عليه بكل ما يستطيعون من قوة، فقد حاولوا القضاء عليه في عهد النبي ﷺ ثم في عهد الخلفاء الراشدين، ثم في العصور التالية، وإلى وقتنا هذا، بالعنف والصراع المسلح تارة، وبالمكر والخداع والخطط الهدامة والتضليل الفكري تارة أخرى.

فاليهود من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين، قال الله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً

---

(٣٦) صفية بنت حيّي بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن أبي حبيب، من بني النضير، وهو من سبط لاوي بن يعقوب، ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى-عليهما السلام- كانت تحت سلام بن مشكم، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقتل كنانة يوم خيبر، فصارت صفية مع السبي، فأخذها دحية ثم استعادها النبيّ ﷺ فأعتقها وتزوجها " الإصابة في تمييز الصحابة- ابن حجر جـ ٨ صـ٢١٠ طـ الأولى دار الكتب العلمية- بيروت١٤١٥ ه.

(٣٧) مغلسين: الغلس هو اختلاط ضياء الصبح بظلمة الليل " الصحاح- الجوهري جـ ٢ صـ ٢٣.

(٣٨) السيرة النبوية- ابن هشام جـ ٣ صـ ٥٢ طـ دار الجيل بيروت ١٤١١هـ.

لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾(٣٩).

ولا تقتصر عداوة اليهود للإسلام على المواجهة المادية الظاهرة، وإنما تتمثل عداوتهم في التآمر والكيد والدس في الخفاء والطعن من الخلف، فكم سعى اليهود وأذنابهم للنيل من الإسلام وأهله قديمًا وحديثًا.

لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة، وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة، وتضمن القرآن الكريم من التقريرات والإشارات عن هذا العداء وهذا الكيد ما يكفي وحده لتصوير تلك الحرب المريرة التي شنها اليهود على الإسلام، وعلى رسول الإسلام ﷺ وعلى الأمة المسلمة في تاريخها الطويل، والتي لم تخب لحظة واحدة قرابة أربعة عشر قرنا، وما تزال حتى اللحظة تستعر في أرجاء الأرض جميعًا.

لقد عقد الرسول ﷺ أول مَقْدَمه إلى المدينة معاهدة تعايش مع اليهود ; ودعاهم إلى الإسلام الذي يصدق ما بين أيديهم من التوراة... ولكنهم لم يفوا بهذا العهد- شأنهم في هذا كشأنهم مع كل عهد قطعوه مع ربهم أو مع أنبيائهم من قبل، حتى قال الله فيهم: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾(٤٠).

ولقد أضمروا العداء للإسلام والمسلمين منذ اليوم الأول الذي جمع الله فيه الأوس والخزرج على الإسلام، فلم يعد لليهود في صفوفهم مدخل ولا مخرج، ومنذ اليوم الذي تحددت فيه قيادة الأمة المسلمة وأمسك بزمامها محمد رسول الله ﷺ فلم تعد لليهود فرصة للتسلط!

ولقد استخدموا كل الأسلحة والوسائل التي تفتقت عنها عبقرية المكر اليهودية، فلما رأوا ظهور الدين وانتصارات خاتم النبيين ﷺ تفجرت ينابيع الشر والغدر والخيانة في أفعالهم وأقوالهم، فناصبوا رسول الله ﷺ وأصحابه العداء المستحكم المرير، وطفقوا يخططون، وأخذوا يمكرون برسول الله ﷺ أنواعًا من المكر والكيد، فمن ذلك:

١- أنهم أكثروا على رسول الله ﷺ الأسئلة تعنتًا وتعجيزًا, ليحرجوا رسول الله ﷺ ويشككوا في صدقِه ونبوته، فأحبط الله عملهم.

---

(٣٩) سورة المائدة من الآية: ٨٢.

(٤٠) سورة البقرة الآيتان ١٠٠، ١٠١.

٢- ألبوا على الإسلام والمسلمين كل قوى الجزيرة العربية المشركة ; وراحوا يجمعون القبائل المتفرقة لحرب المسلمين، ولقد كانت الحرب التي شنها اليهود على الإسلام أطول أمدًا وأعرض مجالًا من تلك التي شنها عليه المشركون والوثنيون- على ضراوتها- قديمًا وحديثًا.

٣- عمدوا إلى إضعاف الإيمان في نفوس بعض المسلمين وزعزعة ثقتهم بالله وبالإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(٤١). وكذلك يشككون في الإسلام وصحته.

إن اليهود وأذنابهم- اليوم- يحرصون على تضليل المسلمين فكريًا، حسدًا وبغيًا، لعلمهم أن الإسلام هو الحق.

ولما غلبهم الإسلام بقوة الحق استداروا يكيدون له بدسّ المفتريات, وإثارة الفتن حتى انتهى بهم المطاف أن يكونوا في العصر الأخير هم الذين يقودون المعركة مع الإسلام في كل بقعة على وجه الأرض، والمتأمل في ماضي الأمة الإسلامية وحاضرها يدرك أن بليةَ الإسلام في أهله باليهود عظيمة شديدة.

ومع كرههم وعداوتهم للإسلام والمسلمين، فهم في الوقت نفسه يخافون من انتشار هذا الدين في ربوع الأرض، وهذا العداء دفعهم إلى هذا المسلك من التضليل الفكري لطمس الحقائق الفكرية، وتشويهها واختلاق الأكاذيب، وتصوير الإسلام بصورة لا تليق بجلاله، كي ينفر منه كل من لا يدين به، وتتزعزع ثقة من يدين به.

وكان اليهود وراء ظهور الفتن بين المسلمين، وظهور الفرق الإسلامية وتعددها، وبسببهم دبَّ الخلاف والشقاق داخل الجسد الواحد، وسالت دماء زكية طاهرة على مذابح التضليل الفكري، منها دماء الخليفة الراشد الثالث) عثمان بن عفان ذو النورين ﷺ) التي سالت على المصحف الشريف، حين امتدت له يد الحقد الضالة الآثمة تقتله، وهو يتلو كتاب الله تعالى، على يد فئة لم يدفع لها اليهود مالًا، وإنما حرضوها وضللوها وعبثوا بمنظومة فكرها، فانطلقت لتقتل.

وكانت هذه الفتنة هي الشرارة التي امتدت لتكتوي الأمة الإسلامية بنارها حقبة من الزمن، ومردها إلى مجموعة من الاجتهادات الفكرية لبعض من ضلت بهم السبل، ولبعض من وقعوا في مصائد التضليل الفكري، والذي رعاه الحاقدون على الإسلام وأهله.

---

(٤١) سورة آل عمران الآية ٦٩.

فاليهود هم مخترعو كل المذاهب الهدامة في تاريخ الإسلام، هم الذين أقاموا الثورة البلشفية الشيوعية(٤٢) وهم الذين ألَّبوا النصارى في الحروب الصليبية، وهم الذين أنشأوا البهائية(٤٣) والقاديانية(٤٤)، هم الذين يملكون المال والذهب ووسائل الإعلام والتوجيه، وهم وراء كثير من الحركات الفكرية والسياسية التي تهدم الدين من أساسه.

المطلب الثاني: الحسد للإسلام والمسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾(٤٥).

في هذه الآية يكشف الله تعالى للمسلمين عما تكنه لهم صدور كثير من أهل الكتاب من الحقد والحسد، بسبب ما اختصهم الله به من الفضل والنعمة، ليحذروا أعداءهم، ويستمسكوا بما يحسدهم هؤلاء الأعداء عليه من الإيمان، ويشكروا فضل الله عليهم ويحفظوه.

جاء في التفسير الوسيط: (وقوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكتاب لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾ بيان للون من ألوان الشرور التي يضمرها أهل الكتاب وعلى رأسهم اليهود، وهو تمنيهم ارتداد المسلمين عن دينهم الحق، إلى الكفر الذي أنقذهم الله تعالى منه، وإنما أسند

---

(٤٢) البلشفية: تعني الأكثرية , وهو الحزب الأساسي في تكوين الاشتراكية الشيوعية في روسيا لقلب نظام الحكم واستلام السلطة, وكان حزب البلاشفة بزعامة لينين هم الأكثرية, ولهذا قيل له بلاشفة, أي: الأعضاء الغالبية، وكانوا على مبادئ (ماركس) " المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات- د/ غالب بن علي عواجي جـ ٢ صـ ١٠٨٠طـ الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م المكتبة العصرية الذهبية-جدة.

والشيوعية: مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي، ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وأنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة- الندوة العالمية للشباب الإسلامي طـ دار الندوة العالمية.

(٤٣) البهائية: (فرقة من الفرق المنحرفة التي أصبحت تمثل ديانة مستقلة وإن تسمت بالإسلام في مبدأ أمرها. يزعم أصحابها بأن الوجود المطلق لله لا يتحقق بالأسماء والصفات التي وصف بها نفسه في كتبه، وخصوصًا في القرآن الكريم، بل زعموا أن وجوده يحتاج إلى من يظهر أمره ويبشر بمظهره الأبهى الذي اعتقدوا أنه بهاء الله) الموسوعة العربية العالمية جـ ٢ صـ٤١٤.

(٤٤) القاديانية: (حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان مرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩- ١٩٠٨م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وقد ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، وكان معروفًا عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة جـ ١ صـ ٩٣.

(٤٥) سورة البقرة من الآية ١٠٩.

سبحانه هذا التمني الذميم إلى الكثرة منهم، إنصافًا للقلة المؤمنة التي لم ترتض أن ينتقل المسلمون إلى الكفر بعد أن هداهم الله إلى الإسلام، وقوله تعالى: ﴿بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾ مبالغة في ذمهم بسبب ما تمنوه وأحبوه إذ ودوا- وهم أهل كتاب- أن يحل الكفر محل الإيمان، وفيه إشعار بأن ما تمنوه بعيد الحصول؛ لأن الإيمان متى خالطت بشاشته القلوب، منع صاحبه من الانتقال إلى الكفر)(٤٦).

وقد دفعهم هذا الحقد والحسد أن شنت أوروبا حملاتها الصليبية(٤٧) على الشرق الإسلامي، وقد بدأت الحروب الصليبية منذ نهاية القرن الحادي عشر الميلادي(نهاية القرن الخامس الهجري)، واستمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي) نهاية القرن السابع الهجري)، ما يقرب من مائتي عامٍ في ثماني حملات من الحملات المدججة بالعدد والمعدات، وبعد مضي أكثر من قرنين من حروب دامية اشتد وطيسها بين كتائب الإيمان، وبين جحافل الشر، ارتدت الحروب الصليبية، وقد باءت هذه الحملات بالإخفاق والهزيمة، فالقديس (لويس التاسع) قائد الحملة الصليبية الثامنة وملك فرنسا، وقع أسيرًا في مدينة (المنصورة) في مصر، ثم خلص من الأسر بفدية، ولما عاد إلى فرنسا، أيقن أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعًا مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة، تدفعهم إلى الجهاد، وتحّضهم على التضحية في سبيلها.

إذن: لابد من تغيير المنهج والسبيل، فكانت توصياته تركز على (التضليل الفكري للمسلمين) وأن يهتم أتباعه بتغيير فكر المسلمين، والتشكيك في عقيدتهم وشريعتهم، وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض، وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر، لأن القضاء على الإسلام أو تحويل المسلمين عن دينهم لا يمكن أن يأتي عن طريق القوة المادية، والغزو المسلح، فالهزائم التي نزلت بهم، والخسائر التي حلت عليهم، حركت

---

(٤٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم- د / محمد سيد طنطاوي جـ ١ صـ ١٨٣ ط الأولى- دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.

(٤٧) الحملات الصليبية (٤٨٩- ٦٩٢ هـ/١٠٩٥- ١٢٩٢ م) هي الحملات التي وجهها المسيحيون في أوروبا إلى الشرق الأوسط للاستيلاء على بيت المقدس، وكان البابا هو الذي يثير الحماس ويدعو للقتال، أخذت تسميتها من الصليب دلالة على أن الدِّين كان من أهم أسبابها، ومن أسبابها رغبة البابوية المسيحية بالقضاء على الإسلام، والرغبة في امتلاك موانئ على البحر المتوسط لربط تجارتهم بالشرق، وانتشار الحروب والمجاعات والأمراض والإقطاع في أوروبا جعلهم يبحثون عن أرض غنية، وانحلال وضعف وتفرق الجبهة الإسلامية). موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر- أحمد معمور العسيري صـ٢١٤ ط الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م.

الحقد الدفين، وأججت الحسد والبغضاء في نفوسهم، مما دفعهم إلى تغيير الخطط والأسلحة والأساليب والوسائل.

(ولقد اشترك الاستعمار الغربي، والجهد التبشيري، والحقد الصليبي في حرب المسلمين، وتشتيت تراثهم، ونهب ديارهم، بحيث أصبح يخيم عليهم كسحابة سوداء من الحقد والتعصب الأعمى، هذا الحقد، والضغن، والمقت، كان سببًا قويًا في الإغارة على المسلمين، بشتى الأساليب والطرق، والأشكال والألوان، وما زالت تلك الموجة تعلو وتشتد وتمتد، ثقافيًا وفكريًا، لتخريب قواعد الإسلام، والأخلاق الإسلامية، وإشاعة الأفكار والتيارات الهدامة، وشغل الأمة الإسلامية بكل ما هو هامشي في حياتها، حتى لا تدرك اليقظة الواعية، ولا تنتبه إلى ما يحاك حولها)(٤٨).

لقد وجد الغربيون أن خير طريق لغزو العالم الإسلامي وإخضاعه، هو سلوك الغزو الفكري، الذي من أهم أساليبه (التضليل الفكري) فوضعوا الخطط، وحاكوا المؤامرات للغارة على الأفكار والمفاهيم الإسلامية، وعلى كل ما له صلة بالإسلام، حضارة وثقافة، من أجل محاربة الإسلام والمسلمين، وتحقيق مصالحهم وأطماعهم، وكان لهم أثر كبير في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في العالم العربي، وأثر أخطر في أجيال من أبناء جلدتنا ممن وقعوا في شباكهم؛ ففسدت عقائدهم وعملوا على إفساد عقائد المسلمين، وكان لتضليلهم أثر بالغ في أنصارهم الذين تعصبوا لهم، وخُدِعوا بما زعمه أعداء الإسلام من التزامهم الموضوعية في كتاباتهم، وصدقوا ما كتبوه من أباطيل ضد الإسلام، واعتمدوا على مؤلفاتهم في كتاباتهم عن الإسلام في التفسير، أو الحديث، أو السيرة، أو التاريخ ... وغيرها من علوم الإسلام، وراجت مؤلفات هؤلاء الأنصار بين شباب المسلمين مع ما فيها من دسائس، ودس للسم في الدسم، ولهم في أساليب المكر والتضليل، وتزويق العبارات، واللف والدوران في تلك الكتابات ما لا يفطن له إلا الناقد البصير.

فمن باعث الحقد والتعصب تحرك كثير من المستشرقين لتحقيق عدد من الأهداف الدينية والسياسية والعلمية المشبوهة، واتخذوا لذلك نهجا في التشكيك، والمغالطة، وتشويه الحقائق، والافتراء، والتزوير، وهو نهج لا يسلم منه أو من بعضه إلا عدد يسير منهم، كما اتبعوا

---

(٤٨) الغزو الفكري في التصور الإسلامي وكيفية مواجهته- أحمد عبد الرحيم السايح صـ ٣٨ طـ الندوة العالمية للشاب.

لبلوغ ما يريدون كل وسيلة تتيح لهم بث سمومهم، ونشر أباطيلهم "(٤٩).

فالتضليل الفكري أخطر من الغزو المادي المسلح، لأن التضليل يمضي بين الناس في صمت ونعومة وخفاء في الأهداف.

المطلب الثالث: الضعف الفكري، والتخلف الحضاري.

من بواعث التضليل الفكري ما أصاب بعض المجتمعات الإسلامية– في بعض فترات من الزمان – من ضعف فكري، وتخلف حضاري، فكانت حالتها في تلك الأزمنة انحطاطًا في التفكير، واهتمامًا بالخرافات والأساطير، (وكان العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه مصابًا بالجدب العلمي، وشبه شلل فكري، قد أخذه الإعياء والفتور، واستولى عليه النعاس)(٥٠).

والتفكك الاجتماعي نتيجة حتمية للضعف الفكري، لأن الضعف الفكري لا يكشف للإنسان مخاطر الانزلاق في الهاوية، ولهذا نجد بعض المجتمعات الإسلامية ابتليت بالطوائف المتعددة والمتناحرة، والمذهبية التعصبية، التي جرت المجتمع الإسلامي إلى فوضى قاتلة، وتناحر حقيقي، ونهب وقتل، دون رادع أو وازع.

إن بعض هذه المجتمعات الإسلامية حين أصابها الضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي، انشغلت بالتافه من الأمور، فقادها ذلك إلى التخلف عن ركب العلم، والتقدم، والحضارة، فانصرفت عن تعاليم الإسلام التي تدعو إلى العلم والمعرفة، واستعمال العقل والفكر في كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم، (وواكب هذا الانصراف انحطاط في القيم، ودعوات إلى الركون إلى المتع، والعبث بالأموال إلى حد السفه والجنون، والترف والفجور، وتصارع على كل تافه وخسيس من المادة، وخراب للذمم، وبيع للشرف، وكره للقيم، وضياع للحق، وهضم للحقوق، وذبح للفضيلة)(٥١).

وأي أمة تضعف في أفكارها، ولا تعرف إلا القشور من أمرها، وتعيش في تناحر وتمزق، لابد وأن تسقط، وينال منها من كان يهابها.

ومما هو مسجل في صفحات التاريخ: (أن المجتمع الإسلامي وقع فريسة للاستعمار الأوربي، فقد احتلت بريطانيا: الهند في سنة ١٨٥٩م، ومناطق الخليج الإسلامي وجنوب شبه الجزيرة العربية في سنة ١٨٤٩م، ومصر في سنة ١٨٨٢م، والسودان في سنة ١٨٩٨م،

---

(٤٩) لمحات في الثقافة الإسلامية- عمر عودة الخطيب صـ ٢٠٠ طـ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧ م.

(٥٠) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين- أبو الحسن الندوي صـ ١٣٧طـ مكتبة الإيمان- المنصورة- مصر.

(٥١) الغزو الفكري في التصور الإسلامي وكيفية مواجهته- أحمد عبد الرحيم السايح صـ ٣٨.

واحتلت إيطاليا: طرابلس الغرب في سنة ١٩١١م، واحتلت هولندا: جزر الأرخبيل الإندونيسية تباعًا منذ عام ١٩٠٣م، وروسيا احتلت القرم قبل القرن التاسع عشر في سنة ١٨٧٣م، وسيطرت على المجتمعات الإسلامية في وسط أسيا سيطرة تامة في القرن التاسع عشر، ولم يسلم من الاحتلال الأوروبي سوى: اليمن، والحجاز، وإيران، ووسط تركيا)(٥٢).

وكان من نتيجة هذا الاحتلال تخلف العالم الإسلامي، وتفككه الاجتماعي، فشاعت الخرافة، كما كثرت الفرق، وتضاربت الأقوال، واندفع الاحتلال الأوربي إلى بلاد الشرق لينهب خيرات هذه البلاد ويحولها إلى بلاده، فصار الشرق الإسلامي في هذه الفترة المظلمة مملوكًا لا حرية له ولا رأي، فضعُف عزمه، وتفرقت وحدته.

في هذه الفترة كان الإسلام مزيجًا من الخرافة والطلاسم والأوهام، وتخلف المسلمون عن ركب الحضارة، وأصاب هذا التخلفُ كلَ مرافق الحياة، وأصبح العالم الإسلامي معرضًا لكل حملات التضليل الفكري، وكلما زادت قبضة أوروبا على ما تم استعماره، وكلما اتسع نفوذها السياسي والاستغلالي، كلما زاد ضعف المجتمع الإسلامي، الذي وقع تحت سلطة الاستعمار، وزادت تبعيته وتقبله لما يأتي من الغرب، ولم تكن هناك دولة من دول العالم الإسلامي على شيء من الاستقلال، لأنها لم تكن تملك من حقوق التصرف شيئًا، سواء في أمورها الداخلية أو الخارجية، إذ هي في جميع أمورها مملوكة تسير بفكر غيرها، محكومة من خلاله، ومن ثم أصابها التخلف العلمي، والحضاري والفكري، والاقتصادي، والعسكري، وشاع البؤس والشقاء.

وكان للتضليل الفكري الأثر البالغ في تزييف الحقائق، وإيهام المسلمين أنهم تأخروا لأنهم كانوا مسلمين، وأوهم الأعداءُ المسلمين أن الحضارة هي التقدم المادي والعلمي والتكنولوجي، وإن القيم والأخلاق أمور لا قيمة لها.

وانطلق المسلمون وراء هذا التضليل الفكري، ينشرون التقدم الحضاري على النهج الغربي، وهو الاهتمام بالنواحي المادية المحسوسة، وإهمال الجانب المعنوي للحضارة، فأخذوا ببعض أسباب القوة المادية منسلخين عن منهج الله، وكان نتيجة ذلك: تقدمٌ مادي ناقص يعتمد على التقليد لا الإبداع، وكان التحلل من الفضائل والأخلاق، فترتب على ذلك تخلف وتراجع حضاري.

---

(٥٢) أساليب الغزو الفكري- د / علي جريشة، د / محمد الزبيق صـ ٤٥، ط الثالثة، دار لاعتصام، ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس، وأوقف عجلة التقدم والانطلاق لدى بعض الشعوب الإسلامية، وجعلها تعتمد في كل شيء على غيرها، ولذا كان هذا الضعف الفكري والتخلف الحضاري لتلك الشعوب باعثًا من بواعث التضليل الفكري.

وطبيعيٌّ أن يكون فشوُّ الجهل بالدين وبالمعارف الحقة في مختلفة مجالات العلم، مناخًا ملائمًا لتسلل الأفكار الباطلة المموهة بزخارف كاذبة، تخدع الناظرين وتفتن الجاهلين.

المطلب الرابع: الفراغ العقدي.

من المؤكد لدى الباحثين أن العقيدة هي الأمر الذي تثق به النفس، ويطمئن إليه القلب، ويكون يقينًا عند صاحبه، ولا يمازجه شك فيه، ولا يخالطه ريب.

ومن يتأمل العقيدة الإسلامية، ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم تناولت معضلات الحياة، يشعر بالاطمئنان، ويتخلص من الحيرة التي تواجه كثيرًا من المفكرين، والحقيقة التي أثبتتها مئات السنين الحافلة بالأحداث، والخطوب والمحن، أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الشاملة، والعقيدة المثلى للإنسان والمجتمع، وهي رعاية للروح والجسد، وعمل للدنيا والآخرة، وجهاد في السلم والحرب، وتنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم.

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة، ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد، وتطهر نفسه، وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك، ويترفع وينهض.

والعقائد في الأمم تقف سدودًا بينها وبين الأفكار الوافدة، أو المذاهب المقتحمة، كما تمنح استقرارًا وثباتًا للإنسان في الحياة، أما إذا تركت الأمم عقائدها، وتخلفت عن غذائها الروحي، وعن عمقها الإيماني، فإنها تصبح فريسة لمن هبَّ ودبَّ، وهذا ما حدث لبعض المجتمعات الإسلامية في فترات من الزمان، نتج عنه أنهم صاروا لقمة سائغة لأعدائهم، يَصبُّون في عقولهم ما شاءوا من تضليل فكري.

لقد جاء الإسلام بالعقيدة الصحيحة السالمة من التعارض، الخالية من الخرافات، الموافقة للفطر السليمة التي تُعرِّفُ العبد بربه وتربطه بخالقه مباشرة، جاءت هذه العقيدة لتحقق له الأمن والطمأنينة بعيدًا عن الانحراف الفكري، والتخبط العقدي، والوحشة الكلامية، والضلال الفلسفي، قال الإمام ابن القيم(٥٣)- رحمه الله- (في القلب شعَث لا يلمُّه إلا الإقبال على الله،

---

(٥٣) مَحَمَّد بن أَبى بكر بن أَيُّوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي شمس الدِّين ابْن قيم الجوزية الحنبلي، الْعَلامَة الْكَبِير الْمُجْتَهد المُصَنّف الْمَشْهُور، ولد سنة ٦٩١هـ إِحْدَى وَتِسْعين وسِتمِائَة، وَسمع من ابْن تَيْمِية، وبرع فِي جَمِيع الْعُلُوم، وفَاق الأقران، واشتهر فِي الْآفَاق، مَات سنة إِحْدَى وَخمسين وَسَبْعمائة). البدر الطالع- الإمام

وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته)(٥٤).

وبالعقيدة ينجوَ المسلم من فِتن الشُّبهات التي تَموج كموج البحر، فالعالم الآن مليء بالمذاهب الباطلة الهدَّامة، والأفكار المنحلة، والمناهج الفاسدة، فلابدَّ للمسلم أمام هذه المذاهب والأفكار والمناهج أن يكون لديه علمٌ صحيح بالعقيدة، وأن يكون لديه فَهمٌ صحيح بها؛ حتى يَميز الخبيث من الطيّب، والضعيف من الصحيح، والباطل من الحق، فالعقيدة الإسلامية الصحيحة، تُوَلِّد لدى المسلم راحة نفسية وفكرية، وتسدُّ الخواء الروحي، وتُذْهِب القلق النفسي، وتَجْلِب لصاحبها الأمن الفكري، والطمأنينة النفسية، فيظل ثابتًا في كل فتنة، بعيدًا عن الأهواء المتشعبة، والأفكار المنحرفة، والدعوات الهدامة، التي تفسد الدين وتحطم الأخلاق والسلوك، وما ذلك إلا نتيجة لرسوخ العقيدة الإسلامية في قلبه وثبوتها، فلا تستطيع أعاصير الفتن التأثير على تلك العقيدة الثابتة الراسخة، بل تتحطم أمامها معاول الهدم والفساد والتضليل، وبالعقيدة الصحيحة يسلم الناس من التيارات الفاسدة، ومن تأثير دعاة الضلالة والفتنة والفرقة، التي لا يسلم منها من أصيب بالفراغ العقدي.

* * *

الشوكاني جـ ٢ صـ ١٤٣.

(٥٤) مدارج السالكين- ابن القيم جـ ٣ صـ ١٧٢ طـ الأولى دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

المبحث الثاني

(مظاهر التضليل الفكري)

المطلب الأول: القصف الإعلامي(٥٥).

الإعلام على تعدد وسائله من صحافة، وإذاعة، وتليفزيون، له دور خطير في الحياة، فقد يخدم الخير ويكون وسيلة للنطق بالحق ولسماع الحق، وقد يكون وسيلة شر يستخدم أداة للباطل، يقف إلى جانبه، ويعلي صوته، ويضلل الأفكار، ويشوه الحقائق.

إن مهمة الإعلام اليوم مهمة شاقة جدًا, ومسئوليته مسئولية ثقيلة، وأثره في الخير أو في الشر كبير وخطير! وقد أصبح الإعلام لسان الدول، وأسطولها المدمِّر دون حرب, ولا قصف مدافع، فلذا توجّهت إليه اهتمامات دول الغرب والشرق, لأنهم بذلك الإعلام الموجَّه يهدمون ما أرادوا هدمه، ويرفعون ما أرادوا رفعه، ويصلون بأقلامهم وأصواتهم إلى كل بعيد وقريب، والغالب على الإعلام اليوم أنه يخضع لمصلحة مصدِّره وموجِّهه, ومن يتحكم فيه يفعل ويصل إلى ما يريد، ولا يعتمد في كثير من الأحيان على الدقة والأمانة, بل يعرض كل شيء من منظور مصدِّره, فكم نصر باطلًا، وخذل حقًا, وزيَّف واقعا, وغرر كبار العقلاء, وبعض المسلمين يقعون فريسة لذلك الإعلام المضلِّل الأثيم.

وقد فطن العدو الماكر إلى أهمية الإعلام فاستغله على أوسع نطاق، وكما استطاع إبليس اللعين بأساليبه الدِّعائية الملتوية, فدفع آدم وحواء إلى الأكل من الشجرة, فلقد نجح جنوده من اليهود وغيرهم في استغلال أبواق الإعلام وأبوابه, وفتح نوافذه وامتطاء وسائله, وركوب متنه, لتحقيق مآربهم وإحكام سيطرتهم بأساليب فائقة, بلغت في تمويه الأضاليل الغاية, وفي تشويه الحقائق وزخرفة الأباطيل النهاية.

ويقوم إعلام أعداء الإسلام وأذنابهم من الأدعياء على البريق الخادع, مع زخرفة الأباطيل, والسعي إلى طمس الحقائق، وإنفاق الأموال الطائلة على ذلك الطلاء الزائف والبريق الخاطف لأهل الباطل, ودعم دعواتهم الهدامة التي تنطلي على أصحاب العقول القاصرة، والنفوس الضعيفة، والقلوب المريضة، لاسيما عن طريق الإعلام المضلل، حيث جعل شياطين الإنس والجن من ذلك القصف الإعلامي, سبيل غواية وإغفال, ووسيلة إضلال وانحلال, ومعولًا من معاول الهدم, وعاملًا من عوامل التخلف والرجعية، وملهاةً للشعوب

---

(٥٥) أعني هنا بالقصف الجلبة وعلو الصوت، جاء في لسان العرب: (والقَصْفُ والقَصَفة: هدير البعير، وهو شدّة رُغائه... ورَعْدٌ قاصِفٌ: شديد الصوت... والقَصْفُ الجَلَبة والإعْلان باللهو) ابن منظور جـ ٩ صـ ٢٨٣.

وتخديرًا لها, حتى تظل دائمًا غائبة عن وعيها, مغيبة عن واقعها منعزلة عن ماضيها, ذاهلة عن مستقبلها.

ومند أوائل القرن العشرين الميلادي بدأ تنفيذ مراحل التضليل الفكري للحياة الإسلامية بشكل جاد وتطبيقي عن طريق وسائل الإعلام، التي تخضع لتوجيه وكالات أنباء ومؤسسات مملوكة لأعداء الإسلام، فضلا عن الإذاعة الهوائية التي تبث برامج روائية وقصصية تنمي اتجاهات غريزية، وميول عدوانية وعنصرية بين طبقات المجتمع الإسلامي، وتسوق للمسلمين أفكارًا وممارسات يمكن أن تعمق إعجابهم بالغرب، وذلك لعزلهم عن الجو الإسلامي، مما يساعد ويهيئ المجتمع لتقبل التضليل الفكري، الذي ينفث سمومه وحقده ضد الأمة الإسلامية، واندفعت قطاعات عريضة من المسلمين وراء هذه الأساليب المثيرة في نقل المعلومة، الذي يستهدف بها الإعلام الغير إسلامي عقل الأمة وفكرها، فضلا عن حجبها عن دينها، (وقد أُوتي اليهود والنصارى من الحول والطول في مجال الإعلام في زماننا هذا ما لم يُؤْت المسلمون، وقد أحسنوا استخدام تلك الوسائل لصالحهم)(٥٦).

وقد تطورت أساليب التضليل الإعلامي بعد ذلك، فاستثمرت القوى المعادية للإسلام وسائل التقدم المادي الحديث في مجالات الإعلام المختلفة، وما تحمله بين جنباتها من فكر ومعتقد لا يتفق وعقيدة الإسلام في تضليل المسلمين.

لقد بين القرآن الكريم هذا القصف الإعلامي كمظهر من مظاهر التضليل الفكري واصفًا إياه بالأذى، قال الله تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾(٥٧).

(لتسمعن من هؤلاء جميعا أَذىً كَثِيرًا كالطعن في دينكم، والاستهزاء بعقيدتكم، والسخرية من شريعتكم والاستخفاف بالتعاليم التي أتاكم بها نبيكم)(٥٨).

إذن: هو أذى مسموع وحرب كلامية سُتعلَن على أهل الإيمان لتشويه دعوتهم, وتلويث سمعتهم, والتشكيك في سيرتهم، وتختلف وسائل هذه الدعاية الدنيئة الموجَّهة- من أهل الكتاب والمشركين، بعد تناسى جميع خلافاتهم- ضد المسلمين، لإيذائهم في سمعتهم وفي أعراضهم

---

(٥٦) التبشير والاستشراق بين النظرية والتطبيق- د / بكر زكي عوض صـ ٧٧ بدن ذكر للطبعة والناشر وسنة النشر.

(٥٧) سورة آل عمران من الآية: ١٨٦.

(٥٨) التفسير الوسيط للقرآن الكريم- د / محمد سيد طنطاوي جـ ٢ صـ ٣٦٣.